معركة من نوع نادر

بهيرة المطعونة لم تكن تعلم أن تليفون الظهيرة المزعج سيكون مقدمة لزحف هذا الإزعاج إلى عشها الهادئ، ولم تكن تعلم أنها عندما استجابت لهذا الدعوة ـ غير الكريمة ـ لضبط زوجها يجالس عشيقة مزعومة فى مكان ما أن هذه العشيقة هى نفسها السيدة خميسة عفيفى الحقوقية المتزوجة ذات الأخلاق الحميدة، وكان يمكنها أن تسخر من هذه الدعوة وتعنف صاحبها فيما لو كان لديها الاستعداد لذلك، ولكن لأن المُبلّغ هو الزوج نفسه فقد بدا الأمر مثيرًا، أما ما كان يعشش بداخلها منذ زمن بعيد فهو الخوف والتوجس من القدر المجهول، القدر الذى حرمها من نعمة الإنجاب رغم الأمان الذى تنعم به مع رجل اختارها بحب فى أول طريق الزواج، ومع هذا فإن الخوف والتوجس لم يغادراها بنفس القدر الذى لم يغادرها فيه الشعور المحزن أنها شجرة تلقى بالظل ولا تمنح الثمار.

حزمت حقائبها وغادرت منزلها إلى أهلها.. وقالت لنفسها:

ـ «فلأضع النهايه بيدى، لقد أهاننى ورددت له الإهانة توبيخًا فى مكان عام.. هناك شىء ما قد انكسر ولا جدوى من محاولة إصلاحه»..

وتركت للخادمة رقم تليفونها لدى الأهل لتمنحه كل من يطلبها..

وانهالت عليها الاتصالات:

المهندسة سوسن:

«ماذا حدث يا طنط؟.. هل هذا معقول؟ أنا الذى رتبت لها هذا الموعد فى هذا المكان.. الأستاذ كان يشرع فى افتتاح مكتب يلحقها به.. كان لابد من لقائهما مباشرة فى موضوع لا تعالجه التليفونات.. خميسة تركت منزلها هى الأخرى.. زوجها يهددها.. بل ويهدد الأستاذ..»

ثم اتصال آخر.. «حشمت بركات»:

ـ «كيف يصل بك الحال إلى هذا الحد؟.. الولد المجنون خرج عن حدوده.. يستشهد بك.. يهدد حلمى.. قفى بجانب زوجك يا هانم.. سأحاول لم الموضوع تمسكى بالهدوء.. الموضوع لا يستحق البكاء»

واتصال جديد: فايز فوده:

ـ «لم أصدق ما سمعت.. لا يمكن أن يعقد علاقة مع عامله كوافير؟ حتى لو كانت خريجة حقوق... كان يجب أن تتأكدى ولا تنساقى وراء هذا الولد المجنون.. الأستاذ هو الآخر غادر البيت.. يقيم عند سوسن.. اهدئى سنعالج الأمر..»

* * *

وانطلق السيد النحال إلى بنسيون السعادة:

ـ «مارى.. أين خميسة؟..»

ـ «ماذا بك.. تبدو متفجرًا.. ماذا حدث؟»

ـ «ضبطتها تخوننى.. هربت الفاجرة..»

ـ «تخونك؟... هل جننت؟.. لا تقل هذا عنها»

ـ «إذن، فأنت تتسترين عليها.. سأفتش كل غرف الفندق..»

ـ «أنت فعلاً مجنون، سأستدعى الشرطة فورًا»

ثم انطلق إلى أمير فى شركته:

ـ «أين هى»

ـ «من؟»

ـ «خميسة»

ـ «أتبحث عن زوجتك هنا فى الشركة»

ـ «إذن هيا بنا إلى منزلك»

ـ «يبدو أنه أمر صحيح»

ـ «عم تتحدث»

ـ «إنك فعلا تبحث عنها.. ما الأمر أنا لم أفهم شيئًا»

ـ «ليس من المهم أن تفهم.. المهم، هل هى عندك؟»

وراح أمير يضرب كفًّا بكفّ:

ـ «يبدو أنك قد جننت.. اجلس.. واهدأ حتى أفهم ما حدث..»

ـ «ليس عندى ما أقوله.. هل هى عندك ؟»

وأمام ما قرأه من حيرة حقيقية بدت فى وجه أخيه، ودهشة ليست مصطنعة وأنه لا يعلم شيئًا.. وقبل أن يتلقى منه إجابة سارع بالانصراف

ـ «أنت تعرف تليفونى، إذا جاءتك فاتصل بى.. وأحذرك من التستر عليها»

ثم انطلق تاركًا خلفه أميرًا وعلى فمه ابتسامة غامضة.

* * *

وفى المؤسسة طرق الباب ودخل فورًا قبل أن يُسمح له بالدخول:

ـ «حشمت بك؟.. سوف أقتل حلمى عبد الباقى»

تطلع إليه باستخفاف:

ـ «تقتله؟.. هكذا؟.. بكل بساطة.. لماذا؟..؟»

ـ «يخوننى مع زوجتى..»

وبكل برود قال له:

ـ «إذن، فهى التى تستحق القتل..»

ـ «المجرمة.. هربت..»

اعتدل حشمت بركات لأول مرة، وتطلع إليه:

ـ «اجلس و اهدأ.. اهدأ.. واحكِ لى ما حدث»

ولم يجلس.. ولم يحك له إنما صاح به:

ـ «وماذا سأحكى لك سوى خيبتى.. اسأل صاحبة الخيبة المماثله بهيرة هانم.. كانت معى عندما أمسكنا بهما»

وفى التليفون صاح بفايز فودة دون مقدمات:

ـ «صديقك وابن بلدك وضابط الثورة المجيد كان يستغفلنى ويعاشر زوجتى.. سأقتله.. سأقتله»

ـ «من؟.. السيد النحال؟.. تتحدث عن من يا سيد؟..»

ـ «صديقك الكاتب المفكر حلمى عبد الباقى..»

ـ «يعاشرها.. أين ضبطهما؟»

ـ «فى محل جروبى..»

وكأنه ألقى بنكتة فراح يضحك فايز فودة بسخرية:

ـ «أتضحك؟.. والله لأجعلنه أضحوكتكم..»

وكانت طرقة السماعة.. هى المكملة لجملته.

وفى شارع السباق أسفل عمارة فايز فودة اختار أن يكمل تمثيليته التى يلعبها بوجع بدا لكل من قابلهم وهددهم أنه وجع حقيقى لرجل خانته زوجته.. ومن هناك تحدث مع عنتر مكاوى فى مكالمة طويلة ما إن انتهى منها حتى وقع عنتر فى بلاهة مفاجئة فملخص التعليمات هى:

ـ «احضر فورًا ومعك كيمو ورجاله تحت عمارة فايز فودة»

* * *

كان يتوقع أن يسارع حشمت بركات بالحضور لمقابلة فايز فودة للتباحث فى أمر هذه المشكلة.. ووجد أنه من الملائم لإثبات صحة تهديده أن يضبطه حشمت بركات متربصًا لحلمى عبد الباقى أسفل مسكن صديقهما فايز فودة

«هنا سيأخذون موضوع تهديدى موضع الجد، وهنا سأفرض كلمتى..»

ثم تساءل: «أى كلمة تود أن تفرضها يا بن النحال؟..»

وأجابة رجل غامض من داخل نفسه:

«لا يهم.. المهم أن تمضى قدمًا دون أن تهتم بما سوف يحدث، فى كل الأحوال هناك شىء ما سيكون لصالحك، ولا تبحث عن هذا الشىء من الآن»

لم يجد حشمت بركات رجلًا واحدًا بالفيلا يمكنه أن يسأله أين السيد؟.. توجس

خوفًا وهو يشهد هذا الخلاء المفاجئ لمكان كان يعج بالرجال.

«أين ذهبوا؟..»

وراح يبحث عن تفسير لما حدث عند صديقة فايز.

وعثر على ضالته فى مدخل العمارة بشارع السباق عندما وجدهم جميعًا هناك.. السيد النحال وعنتر مكاوى يجلسان فى المدخل، والخمسة العظماء مبعثرون على رصيفىْ الشارع.

ـ «ماذا عندك يا سيد، خير.. لم تجلسون هنا؟..»

قام السيد واقفًا واتجه نحوه باحترام وكسا وجهه ببعض الألم:

ـ «لا بد أن أتمكن منه.. لقد هرب من منزله»

ـ «وكل هؤلاء الرجال ما شأنهم بهذا الأمر؟»

ـ «إنهم رجالى، رفضوا التخلى عنى، قالوا إنهم سيخطفونه بأنفسهم؟»

ألقى بيمناه فوق كتفه وسار به قليلًا وأخذ يحدثه همسًا:

ـ «عندما تحدثت معى ظننتك أمسكت بهما فى غرفة نومك، ولكن فايز أبلغنى أنك شاهدتهما يجلسان فى مكان عام، هذه ليست خيانة، وأى خروج عن حد اللوم لحلمى أو خميسة يعتبر اعتداء غير مبرر سيضعك أمام القانون»

ـ «أى قانون يمنع رجلًا من أن ينتقم لشرفه؟»

ـ «أنت تفضح نفسك وزوجتك وتسىء إلى رجل فاضل، وأحذرك مما تفعله، إن لم تتصرف مع رجالك سأستدعى لكم الشرطة»

ـ «إلى هذا الحد تقفون مع الخائن؟»

ـ «ليس بخائن، وأحذرك مرة أخرى»

كانا قد وقفا أمام المصعد، الذى استدعاه حشمت، ثم استقله وصعد به دون كلمة واحدة.

وبعد دقائق قليلة هبط فايز فودة وقابل السيد النحال بوجه كله هلع:

ـ «ما الذى يقوله لى حشمت بك؟.. أتود أن تجعل من مسكنى ميدانًا لإجرامك؟.. ليس من المنتظر أن يحضر الأستاذ حلمى إلى هنا.. فلتبحث عنه فى مكان آخر»

ولجأ السيد النحال إلى ما لم يستطع اللجوء إلى فعله أمام ولى نعمته حشمت بركات،

فصاح فى وجه محدثه فايز فودة:

ـ «إذن، فقد أبلغتموه بما أنوى عمله.. لن يفلت من أيدينا.. أنتم لا تعرفون شيئًا عن النار التى تأكل قلبى.. لن نتحرك من هنا..؟»

وعلى غير انتظار تقدم رجاله فاقتربوا من موقع الصياح، وافتتح «كله» الهجوم بالصياح فى وجه فايز فودة الرجل الذى كان يتمتع بتخديمهم لجلساته وباحترام رجلهم.. واختلطت أصواتهم العالية حتى اجتمع حولهم المارة.

وكما فعل حشمت قام فايز باستقلال المصعد بشفتين مزمومتين ووجه محتقن، وبدا كأنه ينوى أمرًا، وعرف السيد بحاسته التآمرية أن الشرطة بلا شك ستأخذ طريقها إليهم بعد قليل، وبدلًا من أن يفر هاربًا ويفقد وقاره أمام رجاله ادعى أنه بحاجة إلى البحث عن غريمه بمكان آخر يمكنه أن يعثر عليه فيه:

ـ «تعال معى يا «كله».. عنتر.. كيمو.. لا تنصرفا من هنا حتى أرسل إليكم «كله» ليصرفكم.»

وسار فى اتجاه ميدان روكسى بحذاء سور حديقة الميريلاند ومعه كله، وهو واثق أن رجاله سوف يقضون الليلة بالتخشيبة، وحتى يتأكد من حدوث ذلك دار دورة كاملة حول سور حديقة الميريلاند بأضلاعه الأربعة صامتًا لا يتحدث، متمهلًا فى سيره عازفًا عن مبادلة «كله» بعض عباراته المهدئة إلى أن وصل من جديد حتى موقع العمارة، فقال لرجله:

ـ «أنا لا أرى عنتر وكيمو وباقى الرجال.. اذهب يا كله إلى الحارس.. فاسأله»

وقفز كله إلى الرصيف الآخر، وخرج مسرعًا بعد قليل من جوف العمارة بوجه ملتاع:

ـ «الحارس يقول إن الشرطة شحنتهم فى البوكس ومضت بهم منذ دقائق»

ومضى فى سيره دون أن يعلق، ولم يلتفت إلى هلع «كله»

لكن بعد حين خاطبه بهدوء:

ـ «كله.. أنا بحاجة إلى الاختفاء أسبوع أو أكثر، دلنى على مكان لا يعثر فيه أحد على، ستواصل أنت العمل مع فوزية حتى يخرج باقى الرجال من التحقيق، أريد أن أربك حسابات خصومى وأجعلهم يتخبطون.. فى عقلى خطة أربطهم فيها جميعًا بحبل واحد، وأجعلهم أضحوكة وأنتقم لشرفى»

وبلا تردد خبط كله على صدره بيمناه بشهامة:

ـ «عندى.. مكانك عندى.. رسميه زوجتى كأنها أختك.. ستضعك فى عيونها مثلى تمامًا»

* * *

ولم تتوقع رسمية أن يكون طارق بابها فى منتصف النهار هو زوجها.. كما لم تتوقع أن يكون ضيفه الذى معه هو السيد النحال بشحمه ولحمه.. السيد الذي تسمع عنه حكايات كالخيال حتى بات ثالثهما هى وزوجها فى كل الأحاديث المروية.

هتف بها وهو يفسح له الطريق:

ـ «المعلم السيد أبو الرجال.. وولى نعمتنا.. ضيفك يا رسمية.. اتفضل يا معلم»

وفى الصالون الصغير أجلسه منعمًا بكل عبارات الترحيب، ثم خرج إلى زوجته بالصالة وأخذ بيدها إلى غرفة النوم وراح يسرد عليها تفاصيل مهمتها القادمة نحو ضيفهما العزيز.

وفى الصالون الخانق تحرر النحال من ربطة عنقه، وقد ألمت به صورة مشتهاة لجسد أنثوى ظالم ظهرت تضاريسه القويمة من تلك الغلالة الشفافة الرقيقة، أما وجهها الذى تحول إلى ابتسامة مشرقة فقد حنا عليه فى استدارته شعر همجى بعثرته فوضى الدعة والراحة بحضن المنزل.

«ما هذا..؟.. أيقتنى «كله» هذا القالب السماوى الساحر؟ أى عدالة فى توزيع النساء على الرجال بهذا الشكل؟»

وأقبلا عليه من الداخل.. رسمية بفوضاها الجميلة وابتسامتها الأجمل.. وكله يفرك كفيه فى حبور، واجهته رسمية بوجهها الضاحك قائلة:

ـ «إن لم تحملك الأرض لحملناك يا معلم على رءوسنا.. «كله» شرح لى كل شىء..»

ابتسم فى رزانة:

ـ «ستشهد شقتكم هذه إدارة معركة من نوع نادر.. معركة سأنازل فيها الكبار»

ثم دس يده فى جيبه وأخرج حفنة من بنكنوت أخضر:

ـ «كله.. من فضلك.. ابتع لى بيجامتين ونصف دستة من الغيارات .. وغداء هذا اليوم على حسابى أنت تعرف ما أحبه فى المشويات، وبالمرة هات أوراقًا وأقلامًا.»

والتقط، كلّه المال وهو يقاوم لعابه الذى أوشك أن يسيل.